الرواية الفلسفية من لغة الفكر إلى واقع المجتمع

The philosophical novel from the language of thought to the reality of society

أحمد مرين[1]، بشير خليفي[2]،

[1] كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – قسم الفلسفة – جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر (الجزائر)،

ahmed.merin@univ-mascara.dz

مخبر حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم- جامعة مستغانم

[2] كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – قسم الفلسفة – جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر (الجزائر)،

bachir.khelifi@univ-mascara.dz

مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية .

تاريخ الاستلام: 2021/11/24 تاريخ القبول: 2022/03/14 تاريخ النشر: 2022/06/06

ملخص: لقد عمدت الفلسفة منذ القديم إلى مساعدة الإنسان في التعامل مع الأسئلة المؤرقة، على غرار الموت والمصير...، وهي في ذلك ترافق الإنسان في قلقه، محاولة تنويره وتقديم حلول لمشكلاته، وقد ارتأينا في بحثنا هذا أن نلقي الضوء على أحد أهم الوسائط التي استخدمها بعض الفلاسفة لحمل أفكارهم وتبليغها للمجتمع، يتعلق الأمر بالرواية، وذلك نظرا لخصوصياتها حيث تتميز بمقروئيتها العالية وقابليتها للتحول إلى عمل مرئي على مُستوى السينما والمسرح، وقد اعتمدنا في إسناد فكرتنا الرئيسة على فرضية مفادها قابلية الرواية الفلسفية في حمل هواجس التفلسف من المفكر للمجتمع، والمساهمة في حل مشكلات الواقع ، وتحقيق قيم الفلسفة الكونية كونها أدبا يتصف بالعالمية، دافعنا في ذلك معالجة الإشكالية التالية: إلى أي نجحت الرواية الفلسفية في وظيفتها بوصفها سبيلا للتجلي والمعالجة الفكرية بين الروائي ذي الخلفية الفلسفية والمجتمع؟

كلمات مفتاحية: الفلسفة، الرواية، الفكر، المجتمع ، الواقع ،اللغة .

Summary: Philosophy has tried since ancient times to help humanity in explaining the questions that it raised, such as existence, death and destiny..., and accompanied man in his anxiety, trying to enlighten him and provide solutions to his problems, and we decided in this research to shed light on one of the most important media used by many philosophers To

carry their ideas and communicate them to society, which is the novel, due to its peculiarities as it is characterized by its high readability and its ability to transform into visual work such as cinema and theater. And realizing the values of universal philosophy as a literature characterized by universality. In this research, we will try to address the following problem: Has the philosophical novel succeeded in its function as a channel of communication between philosophers and society? What is the most appropriate narrative language to play this role ?

Keywords: philosophy, novel, thought, society, reality, language .*

1.مقدمة: لقد ظل البحث في طبيعة العلاقة بين الفلسفة والمجتمع بالغ الأهمية، لأنه يتصف بتداخل حقول معرفية كثيرة، على غرار الوجود، الإنسان، اللغة، الفكر والواقع، مما يصعب على الباحثين الاطلاع عليه من زاوية واحدة، نظرا لأهمية هذين الحقلين – الفلسفة والمجتمع- وما يتصفان به من مميزات، فالفكر الفلسفي يتصف بالنسبية وتعدد المذاهب والاتجاهات، كما أن واقع المجتمعات من التعقيد الناتج عن طبيعة التفاعل الاجتماعي إضافة إلى تعدد الرؤى والايديولوجيات، ولهذا ظل الفيلسوف –بوصفه منظرا لمختلف القضايا الإنسانية- لا يبحث عن تفسيرات لمشكلات الحياة كالوجود والمعرفة والقيم والمصير ...وغيرها فحسب، بل لزم عليه أيضا اختيار القناة المناسبة التي تحمل أفكاره وهواجسه لفضاء الاستقبال والتلقي

* المؤلف المرسل: أحمد مرين

من هذا المنطلق، ارتأينا أن يكون موضوع ورقتنا البحثية هذه الرواية الفلسفية كونها أحد أهم القنوات التي لجأ إليها الكثير من المفكرين والكتاب لنقل تمثلاتهم وتصوراتهم إلى المجتمعات، منذ البواكير الأولى للفكر الإنساني على شكل الأوديسا والإلياذة مع هوميروس وغيره، إلى غاية جون بول سارتر، فريديريك نيتشه ونجيب محفوظ. إضافة إلى ما يميزها من ارتفاع في نسبة المقروئية إذا ما تمت مقارنتها بمجالات معرفية أخرى، هذا إضافة إلى قابلية التحول لعمل مرئي في مجالي السينما والمسرح، اللذان أصبحا في الزمن المعاصر عنوانا للعولمة، الأمر الذي يُيَسِر إلى حد ما في تحقيق فعل التفلسف والتنظير وفي مقام ثانٍ توصيل الأفكار للمتلقين .

كما ارتأينا أن نضع بعض الفرضيات التي يمكن الوصول إليها نهاية البحث، حيث تمثلت في أن الرواية الفلسفية كونها وليدة التفاعل بين الأدب والفلسفة، ظلت أداة متفردة سواء من الجانب اللغوي المتمثل في اللغة الروائية الناتجة عن روائيين تلقوا تكوينا فلسفيا إضافة لتكوينهم الأدبي، أو من الجانب الفكري حيث ظلت الرواية تحاول محاكاة الواقع المعيش ومعالجة قضاياه، كل هذا أكسبها حضورها الكبير في فضاء التفاعل والتلقي، لهذا استثمرها المفكرون والأدباء لبسط تمثلاتهم وتصوراتهم ومشاريعهم الفكرية، بغرض إيصالها للقراء.

إن موضوع الرواية الفلسفية ودورها في نقل هواجس المفكرين للقراء في مقام أول، تشوبه الكثير من التساؤلات، ضمن هذا السياق عمدنا إلى البحث عن إشكالية مركزية، تكون قمينة باختصار هذا الانشغال بحيث تُلخص عددا من التساؤلات، وقد جاءت صياغتها على النحو التالي: إلى أي حد استطاعت الرواية الفلسفية من خلال لغتها الخاصة في نقل وإيصال أفكار وهواجس الكتاب الروائيين ضمن إطار هذا النمط من الكتابة؟

2- الفلسفة والرواية بين التنافر والتجاذب: لقد رافقت الرواية الإنسان في صياغة دهشته بلغة سردية يسعى لجعلها متفردة، وفي الوقت نفسه، عمدت مُساعدته

لإيجاد جملة من التخريجات والإجابات لعدد من الأسئلة والانشغالات، التي لا ترتبط بفترة زمنية مُحددة، وإنما تعود بتاريخيتها إلى البدايات الأولى للفكر البشري، على غرار خصيصة السرد التي نجدها في الأوديسا، الإلياذة، وكذا الحال بالنسبة للملحمة، وذلك بسبب احتواء كل هذه الأصناف على أهم عناصر الرواية، على غرار الراوي، الشخوص، الأحداث والحوار، وهذا يجعلنا نخلص **"إلى أنه لا ينبغي إرجاع لحظة نشأة فن الرواية لإلى نص من النصوص. كما أكدنا الخصيصة التي تميز السرد الروائي هو حكي العادي. " (الطيب بوعزة، 2013: 68).** وعلى الرغم من اعتبارها من لدن البعض بوصفها صنفا أدبيا يفيد الترفيه ويشبع رغبة الإنسان في المطالعة وملء وقت الفراغ، إلا أن المتمعن في تاريخها ومحطات تطورها سيدرك طبيعتها ومُؤَدَاهَا، حيث أن هذا النمط من الرواية قد استطاع أن يوصل الهاجس الفلسفي، من خلال نقله في جانب جمالي، يتأسس فيي مقام أول على مِفصلية السرد، وعلى خاصيتي التخييل والتخليق. كما أن هذا النمط من الاشتغال الروائي قد جسدت بشكل أو بآخر طبيعة المستوى الفردي والاجتماعي، كما أثرت وتأثرت بازدهار أو انحطاط الحياة الاجتماعية شأنها شأن مختلف الأنماط المعرفية الأخرى، كما اتصفت بالجرأة في تناول الكثير من المشكلات والمعضلات ذات الرؤى والأبعاد العميقة، على غرار الرواية السياسية، كما يبرز في الطبيعة السردية التي تتجلى في كتاب الأمير لنيكولا ميكيافيلي، هذا إضافة إلى السمة الفلسفية التي ندركها في أعمال نجيب محفوظ، ألبير كامي، إيريس مردوخ... وغيرهم. ثم إن قراءة الرواية الفلسفية تنمي لدى القارئ جوانب معرفية وثقافية كثيرة، فمن خلالها يكتشف حياة وثقافة مجتمعات ويطلع على خبايا الأنفس وطبائع الحياة الاجتماعية المختلفة، هذا زيادة على ما تُوفره الرواية من سرد، فكر ومعرفة تُجتبى من الخلفية المعرفية لكاتبها، إضافة إلى مُتعة الحوارات الداخلية في عمق الذات، والخارجية بين الأفراد، وكذا تقنية وصف الأماكن التي

تجعل الفرد يطلع على جمال الأمكنة سواءً في واقعيتها أو في منشئها الخيالي، والتي تجعل القارئ سائحا مكتشفا للبلدان والثقافات دون عناء التنقل والسفر.

إن المطلع على علاقة الرواية بالفلسفة، يدرك أن هذه العلاقة تندرج ضمن علاقة الأدب بالفلسفة، حيث يرى أنصار الفلسفة أن الرواية وليدة الفلسفة، كونها "أمًا للعلوم" والأساس الذي تُنتَجُ فيه الأفكار والمناهج، هذا إضافة إلى إسهامها الجليل في تطوير العلوم. في حين تتجه الرواية لبسط مباحث الفلسفة وإشكالاتها، على غرار مبحث الإنسان والمصير والمجتمع. وفي الإطار نفسه، يرى البعض أن الرواية فعلت ما لم تفعله الفلسفة بحُكم مقروئيتها التي تجاوزت النخبة لصالح عامة القراء، عكس الفكر الفلسفي الذي ظل حبيس الصفوة، كما نلتمس تيارا ثالثا يُقِرُ بتناغمهما وتفاعلهما المستمر، ويعتبر كلاهما صناعة وإبداعا بشريا، يتقاطعان طورا ويختلفان أحيانا أخرى، فالخبرة الأدبية تجسد الفكرة الفلسفية، كما تنقل الرواية البحث الفلسفي إلى النظريات والفرضيات الواقعية، في هذا الإطار يرى ريتشارد كوهنز في كتابه "الأدب والفلسفة،" أن الفلسفة تضطلع بشرح التجربة وتحليل أسبابها في حين يتولى الأدب ضمن مهامه تقديم تجارب معينة، أي لأن ما تشرحه الفلسفة وتفسره يبدعه الفن الأدبي ويصنعه.

ويعود سبب ازدهار علاقة الفلسفة بالأدب، في مقام أول، إلى جيل من كبار الأدباء الذين أبدعوا في هذا النمط الأدبي، وثانيا إلى طبيعة الرواية خصوصا من حيث الشكل والتي **"يمكنها أن تتماهى مع أي لون معرفي بسبب قدرتها الفائقة على فعل ما تريد: ولكن ينبغي أن نتذكر دوما أن كل لون معرفي له شكله الخاص الذي يتمايز عن الرواية هو الأخر. الشكل هو الإخبار عن حكاية، ولما كنا غير قادرين على اجتراح فصل بين الحكاية وطريقة الحكي مثل ما نحن غير قادرين على الفصل بين الراقص والكيفية التي يرقص بها، فإن هذا الأمر يعني أن الشكل هو جوهر كل رواية: الشكل هو وسيلة الكاتب في رؤية العالم مثل ما هو وسيلته المتوخاة في الإخبار عن حكاية ما، الشكل هو ما يضفي قيمة فنية على**

العمل الفني وهو ما يجعل العمل الأدبي مستحقا ليوصف بأنه أدب حقيقي. " (روبرت إيغلسون، 2017: 63).

كما أن للرواية الفلسفية ملكات مشتركة تميزها عن باقي الفنون الأدبية الأخرى، فإن لكل أمة أو مجتمع فكره الروائي والفلسفي الخاص به، والذي يعالج في ثناياه القضايا الخاصة به والتي تميزه عن باقي المجتمعات، على غرار الحاصل في السياق العربي، حيث **"أصبح من المؤكد، أن للأمة العربية كما للأمم الأخرى تراثها الميثولوجي الأسطوري، والخرافي المتخيل، الذي يشكل رصيدا يحفل بالتنوعات العقائدية، وبالعادات والتقاليد،بل و بجميع المسائل الغيبية والخر افة على السواء، ذلك لأنهم كسائر الشعوب والتجمعات التي عمرت هذه الأرض، هم يحتفون بما يعتقدونه،" (بلحيا الطاهر، 2017: 7)**، كل هذا يبين بأن كلا المعرفتين – الفلسفية والروائية – تتأسسان على حمل الفكرة واستخدم اللغة، ومعالجة القضايا الإنسانية، كما أن لكل منهما أثره وتأثيره بباقي العلوم وبالواقع المعيش للمجتمعات، ولهذا ورغم اختلاف أراء المفكرين والنقاد، في الدور والوظيفة، إلا أنه لا يمكن نكران ما قدماه للفكر البشري من خدمة تمثلت في مرافقة الإنسانية عبر مختلف محطاتها، بإعطاء التفاسير لكل ما يثير الدهشة، حيث أن كليهما ازدهر بازدهار المجتمعات، وتدهور بتدهورها، تبعا للحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية لأي حضارة.

1. **الرواية الفلسفية من المفكر إلى المجتمع:** لم تنخرط الفلسفة يوما في حقل من حقول المعرفة إلى وأثرت فيه بمناهجها وأسئلتها ومنطقها وجدلها، وبما أن المجتمع يحتوي كل أهم المحاور الكبرى التي ظلت تشغل الفكر الفلسفي كالإنسان واللغة والسياسة والحرية والمسؤولية وغيرها، لهذا ظل المجتمع حقلا خصبا يزودها بالمواضيع الجاهزة والمستنتجة للدراسة والتأمل، ولهذا فيمكن القول أن المجتمع قدم للفلسفة وللرواية على حد سواء خدمة جليلة، تمثلت خصوصا في أن الحياة الاجتماعية داخل الحارات والأحياء والأرياف والمدن هي المورد الحقيقي لأفكار الفلاسفة وقصص الأدباء..

إن فلسفة الحضور والغياب التي تحدث عنها الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا، تتحقق عند الرواية بين منتج النص وقارئه، فالجمهور المتلقي للغة الروائية له مجال واسع من الحرية في تفسير وتأويل النصوص، فغياب صاحب النص وحياده يتيح أفقا شاسعا ليسرح القارئ بخياله وتمثلاته وفق مقاربة حجاجية عابرا حدود ومعيقات الزمان والمكان، هذا ما أتاح للروائي فرصة إبراز وتجلية ثقافة مجتمعه من عادات وتقاليد، في هذا السياق لا يمكن لأي كاتب إخفاء خلفياته الإيديولوجية التي وإن حاول عدم إبرازها، فإنها سرعان ما تطفوا في سطح ألفاظه وعباراته، **"وإذا انطلقنا من كون الإيديولوجيا تشكل جزاء من النص الأدبي، وكون الأدب يدخل إليها كأحد مكوناتها، أي العلاقة بينهما علاقة تبادلية في التأثير والتأثر" (إبراهيم عباس،2014: 57).** هذا ما يُبرز أن هناك دوما صراع بين الأنا والأخر، أو الداخل والخارج أي ما يراه ويكتبه ويقتنع به وبين ما يراه المتلقي أو بالأحرى المتفاعل، يتمثل هذا الصراع في حوار وتفاعلات الشخوص والأحداث، وقد يعبر هذا التجاذب أحيانا حدود الزمان والمكان مع اختلاف البنى الفنية لعناصر الرواية، من رواية لأخرى ومن حيز جغرافي لأخر ومن صنف روائي لصنف أخر، كالرواية التاريخية أو السياسية أو التعليمية وغيرها، حيث **"كثيرة هي المؤلفات التي تحلل الرواية وتقنياتها أو مضمونها .فالبعض منها يقدم نظرة تاريخية أو جغرافية شاملة تندرج في سياق التسلسل اللساني أو النطاق الثقافي. ويرتبط البعض الآخر منها بالأشكال والمواضيع أكثر من ارتباطها بالتسلسل الزمني." (برنار فاليت، 2011: 11)**، فالمؤرخ يكتب الرواية من أجل التاريخ، والمصلح يكتب الرواية لتغيير الأوضاع نحو الأحسن، والفيلسوف يكتب الرواية من أجل الفكرة، وإظهار أنساق فكرية عن طريق توظيف آليات اللغة وخصائصها كما يرى ميشيل فوكو، حيث أن أي خطاب لا يعتبر بريئا بل يحمل مقصدا.

لقد ساهمت العولمة في رفع نسبة المقروئية للرواية، حيث أصبح العالم قرية صغيرة مع وسائل الإعلام في الفترة المعاصرة، حيث أصبحت الروايات متوفرة على شبكة الإنترنت وحتى في جيوب القراء على الهواتف النقالة، هذا ما وطد العلاقة بين فن الرواية والفنون

المرئية الأخرى، وهي علاقة ليست بالجديدة فمن مميزات اللغة الروائية تقنية المشهد ذات الوصف الكثيف التي تجعل العبارة السردية قابلة للتجسيد، إذ صار كل إصدار سينمائي قوي يلقى رواجا كبيرا، إلا ويقف خلفه إبداع روائي متقن، حيث **"احتلت العلاقة بين الأدب الروائي والفيلم السينمائي مكان مهما في معظم ما كتب عن السينما، من أفكار نظرية، ورؤى تطبيقية. وصار البحث في مناطق الالتقاء والافتراق بين هذين الفنين مجالا لكثير من الأبحاث والدراسات، ومحورا دارت حوله الآراء المختلفة والمقولات المتضاربة." (عالية صالح. 2011: 109)**، كما صورت الأفلام الشهيرة، والتي نال بعضها العديد من التكريمات وجوائز الأوسكار، تاريخ الإنسانية وتوقعت مصيره وحلقت بخياله بعيدا، كالإنسان الآلي الذي يغزو الأرض، والحرب العالمية الأولى والثانية، ونهاية التاريخ وغيرها ... ، مما يجسد رؤى فلسفية عميقة تلقاها المشاهد بقبول كبير، وصار أبطالها من ممثلين قاموا بدور الشخوص في الرواية، لهم حضورهم وشهرتهم لدى جمهور واسع، صار يقلدهم حتى في ملبسهم ومأكلهم ومشربهم، بل وأصبحت مصدر مداخيل اقتصادية عظمى تضاهي ميزانيات بعض الدول، ما يفسر الارتباط الوثيق للبشرية وميولها الفطرية لكل ما قصصي بطعم فلسفي.

كل هذا ألزم الرواية بدورها على مجاراة ومحاكاة ما يطلع إليه الإنسان الحديث، ومن بين الأعمال الأدبية التي جسدت هذه العلاقة، وكانت سببا في بلوغ الرواية والسينما على حد سواء للكونية، نجد على سبيل المثال لا الحصر أعمال جيمس جويس، غابريل غارسيا ماركيز ، فرانز كافكا، إمبرتو إيكو، فيودور دوستويفسكي ونجيب محفوظ.

2. اللغة الروائية من ملكات الفلسفة العليا إلى تعقيدات الحياة الاجتماعية:

إن علاقة اللغة بالفلسفة أو بالرواية علاقة وجود وكينونة، كونه لا يمكن التفلسف أو الكتابة الأدبية خارج اللغة، وقد برز هذا التوجه بالخصوص في العصر الحديث مع

الميلاد الحقيقي لفلسفة اللغة، حيث تم الانتباه إلى إشكالية اللغة، وبظهور ما يُعبر عنه ب: "المنعطف اللغوي" خصوصا مع الفلسفة التحليلية والأنجلوسكسونية من خلال اسهامات برتراند راسل وغيره.

إن كتابة الروية من لدن المشتغل بالفلسفة لها خصوصيتها وفرادتها، كونه يدرك ما يكتب وكيف يكتب، ثم **"إن الكفاءة الدلالية لمستعملي اللغة تسمح لهم بتحديد، ولنقل بشكل آلي، معنى كل جملة مكونة جيدا داخلة اللغة. هذه الكفاءة موصوفة في الغالب أنها التحكم الضمني لنظرية يعمل علماء الدلالة على صورمتها والتي، وانطلاقا من بديهيات قاعدية ،تسمح باستنباط على أساس النتيجة شروط الصدق بالنسبة لكل الجمل الممكنة المتعلقة باللغة." (فرانسوا ريكانتي، 2016: 79)** . وبالرغم من تعلق الرواية في بداياتها الأولى بطبقة معينة من المجتمع دون غيرها، بيد أنها بعد ذلك احتوت حتى الفئات الكادحة خاصة مع الأدباء الروس الذين تحدثوا بلسان المجتمع و عالجوا واقعه، حيث قادت هذه الثلة من الأدباء التحول نحو الرواية الواقعية تزامنا مع الثورة التي قام بها المجتمع على الطبقة البورجوازية، ليبرهنوا بذلك على أن الرواية ملك الجميع، بناءً على ذلك ليست الرواية **"تجسيدا للواقع فحسب ولكنها فوق ذلك موقف من هذا الواقع، وهذا الموقف لا يمكن أن يتشكل إلا بإعادة إنتاج هذا الصراع الواقعي والإيديولوجي في النص" (إبراهيم عباس، 2014: 58)**، إذ بات التصوير الفني لهذا الصراع ضمن هذه الإبداعات عبارة عن بلورة للأفكار التي سيقوم عليها فيما بعد فكر فلسفي يقود المجتمعات و ينظم أطرها، فبعد بروز الاشتراكية كإيديولوجية واقعية ، كانت الرواية قد حملت هذه الايدولوجيا في شخوصها و لغتها و أماكنها و بل ذهبت إلى أبعد من ذلك لتصبح سمة لهذه الرواية و تسمى بها فنقول " الرواية الاشتراكية"، كما فعل ماكسيم غوركي في روايته "الأم" ، وهذا ما أكدته نظرية الأدب من خلال تقنية الانعكاس التي مفادها أن الأديب لا ينطق إلا بلسان مجتمعه .

هذا التحول الذي طرأ على توجه الرواية مس مختلف مستوياتها و تقنياتها وجعل المبدعين يتسابقون لتحقيق البعد الواقعي في أعمالهم بنظرات و فلسفات مختلفة، فنجد اللغة العليا أو اللغة الشعرية ذات الدلالات العميقة التي توجه إلى قارئ ضمني يستلهم الأفكار العميقة، التي يسعى إليها المبدع و يحمل عليها أفكاره و توجهاته و إيديولوجياته، في المقابل قد يلجأ المبدع في جوانب معينة إلى اللغة العامية التي تلامس واقع الإنسان، هذا الارتباط الوثيق بين لغة الرواية و الواقع جاء نتيجة لارتباط جذورها الأولى به مثل فن الحكاية والشعر، كما أن هذا الفن يفرد في طريقة تداوله لقضايا الإنسان الحياتية وبالتالي يصبح أقرب لواقعه الاجتماعي والنفسي.

لقد كان للأجناس الأدبية التي سبقت الرواية تأثير في رسم مسارها و تشكيل جزء كبير للحدود الفنية، **"ليشكل الفن الروائي مكانة معتبرة في حياتنا الواقعية والجمالية والفنية على السواء، وذلك لأسباب عدبدة لا يتسع بنا المجال هنا لتتبعها والتوقف عندها، بل حتى عند بعضها، ولعل أبرزها كون هذا الفن الجديد على مجتمعاتنا التي كانت مدينة لفني الحكاية، والشعر،" (بلحيا الطاهر، 2017: 17)**، حيث نجد أن جل هذه الأجناس خرجت من رحم الواقع و عالجت همومه و قضاياه فهي –إن صح القول- منه و إليه، غير أن الرواية جنس مرن، يمكن أن يحتوي بذاته أنواع أدبية أخرى مما أكسبها صفت الواقعية أكثر من غيرها، فاللغة البسيطة و العامية في الرواية ميزة فنية إلا أنها في الشعر قد تكون منقصة وعيبا يؤخذ على صاحبه نظرا لضيق القالب الشعري و تقيد لغته عكس الرواية ذات القالب الرحب.

مما سبق يمكن القول أن نوع اللغة ومستواها وعناصرها له التأثير الكبير على التفاعلات الحاصلة داخل الرواية، فالعبارات والأسماء والأفعال هي حاملة الفكرة، فيتحرك الكل في تناغم وتجاذب يزيد من تشويق القارئ ومن جمالية اللغة الروائية وبالتالي الانطباع الحسن لدى المتلقي، حيث **"تسهم الأفعال بزمنيها الماضي والحاضر في تنبيه الحركة**

السردية في النص، بشكل ملفت للانتباه، مع تفاوتها من حيث التواتر من مقطع لآخر،" (وداد بن عافية، 2017: 120)، وبالتالي فاللغة الروائية صعدت ونزلت عبر مستويات عديدة من الراقي المعقد للعامي البسيط، واستخدمت أحيانا حتى الشعر أو المفردات الأجنبية والمصطلحات التقنية الخاصة بتخصصات معينة، كل هذا من أجل هدف أسمى هو إيضاح المعنى وتبسيطه للمتلقي، وبالتالي خدمت الفكر الفلسفي بتقريب الحقيقة وإظهارها، والفن الروائي بالجمالية والتشويق.

3. **خاتمة:** لا يمثل المجتمع بالنسبة للرواية الفلسفية حقلها الخصب الذي يمدها بالمواضيع التي تتناولها بالدراسة فحسب، بل ترقى العلاقة التفاعلية بينهما إلى مسألة الوجود والكينونة، فلا يمكن أن نجد خطابا روائيا خارج حقول المجتمع المتمثلة في مختلف الأبعاد الإنسانية واللغوية.

ثم إن الفلسفة من جهتها ممثلة في الرواية الفلسفية، قد تناولت الأبعاد الاجتماعية للإنسان بالنقد والدراسة وزودتها بالمبادئ والمناهج والنتائج سواء تعلق الأمر بالأبعاد السياسة كنظام الحكم أو التربوية وغيرها.

كما أن مستويات اللغة داخل الرواية والتي تتصف بالتعدد والاختلاف، من العادية المتمثلة في الحوار بين شخوص الرواية إلى راقية كخطاب الراوي من سرد ووصف، ثم ثالثة قد تكون منقولة ومقتبسة عن أطراف أخرى، أعطت المنتج للنص الخيارات لمخاطبة أي جمهور داخل المجتمع يرغب في نقل رسالته إليه.

إذا كان سقراط قد أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، فإن الرواية الفلسفية أنزلت أفكار الفلاسفة وهواجسهم المعرفية من النخبة إلى العامة، وساهمت بشكل كبير بإعادة بعث فعل التفلسف من جديد وجعل تحقيقه ممكنا على الصعيد الاجتماعي، خصوصا بعد الأزمات التي مرت بها الفلسفة.

كما أن الرواية الفلسفية قدمت خدمة كبيرة للأدب بترقيته للعالمية، حيث أن أشهر الروايات التي حققت نجاحا كبيرا هي تلك التي تحمل أبعادا فكرية عميقة وكونية كالتسامح

والتحرر وتقبل الأخر، ثم إن كثيرا من الأعمال السينمائية والمسرحية هي نتاج روائي ساهم في إنتاجه ذلك طبيعة الإثارة والأدبية الحاصلة بين الأحداث والشخوص، الأمر الذي أكسبه متعة وتشويقا.

وفي الأخير، يمكننا القول أنه مادام التفكير الفلسفي عنصر مهم داخل حياة المجتمعات، يناقش مشكلاتهم ومصيرهم وينظم لغتهم، ويمدهم بمختلف الشروح والتفسيرات وصولا للحلول، كان لابد من وسائط لتبليغ التنظير الفلسفي للمفكرين لعقول العامة، وبالتالي ترسيخ القيم الداعية للتعلم والتحضر، خصوصا في عوالم التخلف، ولعل الرواية الفلسفية ظلت من أفضل هذه الوسائط، نظرا لمقروئيتها بحكم تجسيدها روائيا، إضافة إلى اعتبارها منتجا ذو توجه فلسفي، يلتزم بشروط الفلسفة وتجلياتها القائمة على البحث والمحاججة. هذا إضافة إلى أنها تخلص القارئ من قيود النص ومنتج النص، فتترك له هامشا كبيرا من حرية التفسير والتأويل عكس الأنماط الأدبية الأخرى.

وأخيرا، يمكننا القول أن الرواية الفلسفية عرفت فترات مختلفة بين الازدهار والفتور سواء الكلاسيكية أو الجديدة، تماشيا مع أحداث الواقع وتحولات المجتمعات وظهر هذا جليا عندما **"وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، بعد أن كانت حصدت أكثر من عشرين مليونا من الضحايا في ثلاث قارات من العالم: كان لا مناص، أمام تلك المحنة الرهيبة التي مرت بها الإنسانية، من التفكير في شكل جديد للكتابة، فتغير التفكير الفلسفي بظهور الوجودية، وتغير التفكير النقدي بظهور البنيوية، وتغير الشكل الروائي في ظهور بوادر في كتابة جديدة للرواية، وذلك في منتصف القرن العشرين على أيدي طائفة من الكتاب الفرنسيين بخاصة، ومنهم ألان روب غريي، ونتالي ساروت، وكلود سيمون، وميشال بوتور: كما تغير الشكل الشعري بظهور قصيدة التفعيلة، ثم قصيدة النثر، أو مايسمى كذلك عبثا. " (عبد المالك مرتاض، 1998: 74)**، حيث لم تعد الرواية قناة أساسية لنقل الفكرة من الفيلسوف إلى جمهور المجتمع فحسب، بل تعدته إلى المساهمة

الفعالة في إدارة المشهد المعرفي والثقافي برمته، حيث خدمها في ذلك لغتها الروائية متعددة المستويات، وجنسها العصي عن الإحالة والتصنيف.

ثم إن الفلسفة والرواية كما الواقع والمجتمع، بوصفها حقولا فكرية واسعة تحمل من المعارف والعلوم الكثير، فإنها تفتح للإنسان أفق غير محدود للبحث والإبداع، وتفاعل هذه المعارف يولد أيضا معارف أخرى جديدة، وأسئلة مؤرقة، الأمر الذي يطور من تعلم المجتمعات ويؤسس لترقيتها الحضارية، ومن ثمة ينير طريقها نحو معرفة الحقيقة والصواب.

4. قائمة المراجع:

1- الطيب بوعزة، (2013)، في ماهية الرواية، ط1، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي.

2- روبرت إيغلسون، (2017)، الرواية المعاصرة مقدمة قصيرة جدا، ط1، بغداد: دار الهدى.

3- بلحيا الطاهر الرواية العربية الجديدة من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة جذور السرد العربي، ط1، الجزائر: ابن النديم للنشر و التوزيع.

4- إبراهيم عباس، (2014)، كتاب الرواية المغاربية، تشكل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي،ط1، الجزائر: دار كوكب العلوم.

5- برنار فاليت، (2011)، الرواية، مدخل إلى مناهج التحليل الأدبي و تقنياته، ط1، بيروت،تر: سمية الجراح، المنظمة العربية للترجمة.

6- عالية صالح،(2011)، مقاربات في الخطاب الروائي، ط1، عمان: المعرفة للنشر والتوزيع.

7- فرانسوا ريكاناتي،(2016)، فلسفة اللغة و"الذهن"، ط1، تر: الحسين الزاوي،الجزائر: ابن النديم للنشر و التوزيع.

8-- وداد بن عافية،(2017)، اسرار النص دراسات في الشعر العربي المعاصر،ط1 ، الجزائر: دار الهدى.

9 - عبد الملك مرتاض،(ديسمبر 1998) في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد- سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دار المعرفة.